تمهيد: أوضاع شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام

أقسام شبه الجزيرة العربية:

1- تهامة (الغَوْر): سميت بذلك لانخفاضها.

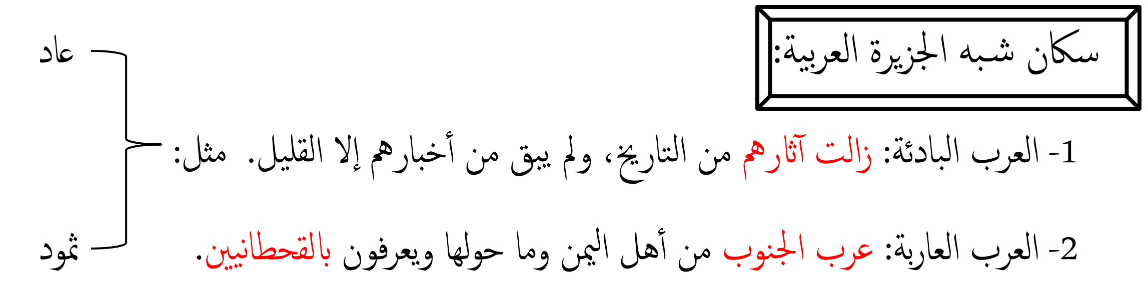
2- نجد: سميت بذلك لارتفاعها.

3- الحجاز: سميت بذلك لأنها تحجز بين تهامة ونجد.

4- العَروض: سميت بذلك لاعتراضها ما بين اليمن ونجد وأطراف فارس.

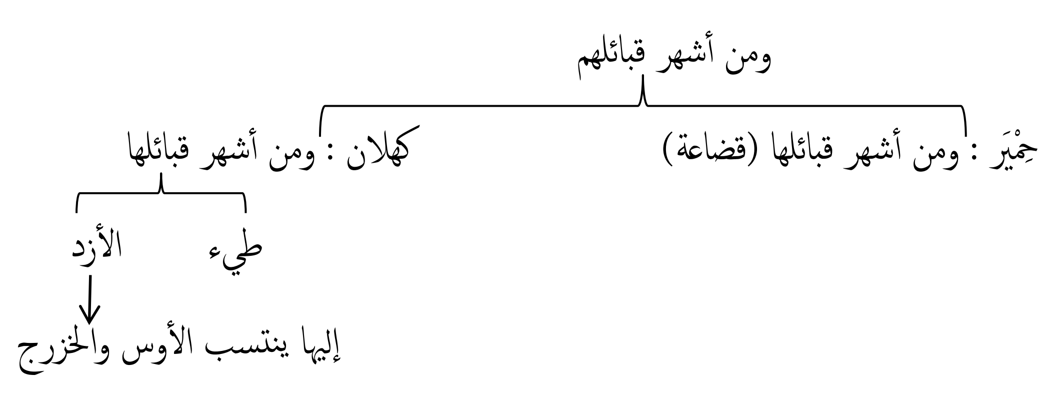
5- اليمن: يقال أنها سميت بذلك ليمنها أو لوقوعها على يمين الكعبة.

سكان شبه الجزيرة العربية:

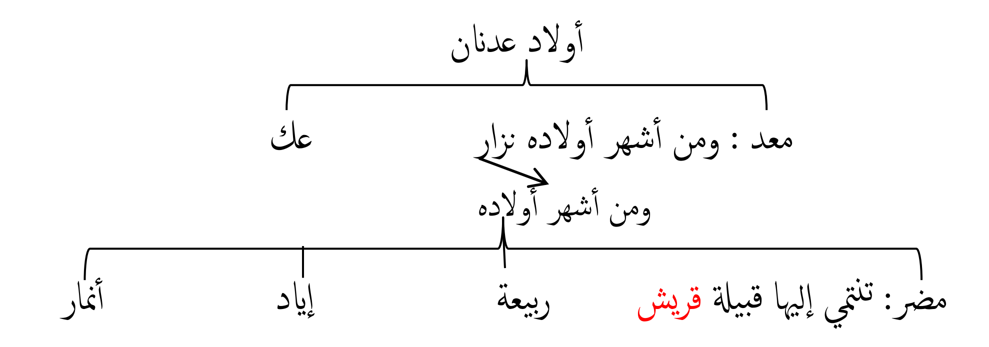


1- العرب البائدة: زالت آثارهم من التاريخ، ولم يبق من أخبارهم إلا القليل. مثل:

2- العرب العاربة: عرب الجنوب من أهل اليمن وما حولها ويعرفون بالقحطانيين.



3- العرب المستعربة: عرب الشمال ويعرفون بالعدنانيين.



طبيعة الحياة في شبه الجزيرة العربية وانعاكسها على أوضاعها الحضارية قبل الإسلام:

- غلب على منطقة شبه الجزيرة العربية طابع الحياة البدوية .

- تعد اليمن استثناء من تلك المنطقة بما منحها الله من أمطار غزيرة وطبيعة خضراء.

- كانت القبيلة هي ركيزة الحياة الاجتماعية والسياسية في شمال شبه الجزيرة.

- انبثقت من هذا المفهوم للقبيلة العربية قبل الإسلام مجموعة من القيم والتقاليد، وقد كان بعضها إيجابيًّا مثل: الشجاعة – النخوة – الكرم، وبعضها سلبيًّا مثل: انتشار روح العصبية الذميمة – سيادة قانون القوة في علاقات الأفراد والجماعات – تحكم نزعة الثأر والانتقام في النفوس.

أهم المراكز الحضرية في شمال شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام:

1- مكة "أم القرى"

مكانة تجارية

ترجع إلى: 1- أنها كانت ملتقى القوافل التجارية القادمة من اليمن إلى الشام ومن الشام إلى اليمن.

2- كانت هناك رحلتان تشهدهما مكة كل عام، وهما رحلة الشتاء (إلى اليمن) ورحلة الصيف (إلى الشام).

مكانة دينية

لأن الكعبة بيت الله الحرام كانت فيها.

2- يثرب ("المدينة" بعد الإسلام)

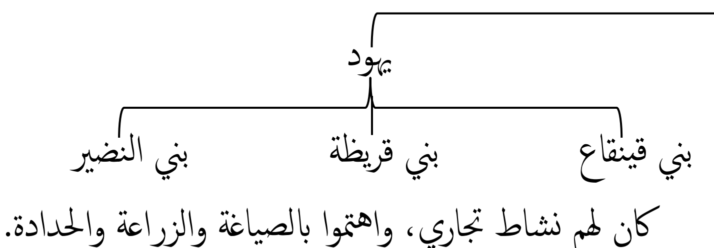
يتكون سكانها في جملتهم من

عرب

قبيلة الأوس - قبيلة الخزرج

ورثوا كثيرًا من التقاليد الحضارية عن أجدادهم اليمنيين.

يهود



3- الطائف

- تمتعت باعتدال المناخ و المياة الجارية، واشتهرت ببساتين العنب البالغ الجودة.
- عُرف أهل الطائف بالثراء و كانت لهم حصون منيعة.

إماراتا اللخميين والغساسنة: ظروف نشأتهما وطبيعة دورهما:

- كانت الأقاليم المجاورة لشبه الجزيرة العربية تمتع بالخصب والثراء، وكانت تلك الأقاليم تابعة لإمبراطوريتي الفرس والروم.
- نتيجة الفقر والجفاف في شبه الجزيرة العربية كان البدو يشنون الغارات على تلك الأقاليم، فشكل ذلك مصدر إزعاج لدولتي الفرس والروم.
- من هنا تهيأت الظروف لنشأة إمارتي اللخميين والغساسنة.

أولًا: إمارة اللخميين (مملكة الحيرة):

المكان ← الحيرة بالعراق. تحت رعاية ← الفرس.

الغرض ← صد غارات السلب والنهب التي دأب عرب شبه الجزيرة العربية على توجيهها ضد حدود الإمبراطورية الفارسية، ودعم الفرس في صراعهم ضد البيزنطيين (الروم).

ثانيًا: إمارة الغساسنة:

المكان ← الشام. تحت رعاية ← البيزنطيون.

الغرض ← تدعيم نفوذ البيزنطيين في ذلك الإقليم.

أديان شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام:

1- المجوسية (عبادة النار): كانت معروفة في قبائل تميم.

2- اليهودية: من أبرز أماكنها
- اليمن: ارتبطت اليهودية فيها بملوك حِمْير.
- يثرب: كان يهودها يهودًا أصلاء نزحوا عن موطنهم بفلسطين إلى الجزيرة العربية.
  يهود بني قينقاع حلفاء ← الخزرج، و يهود بني النضير وبني قريظة حلفاء ← الأوس.

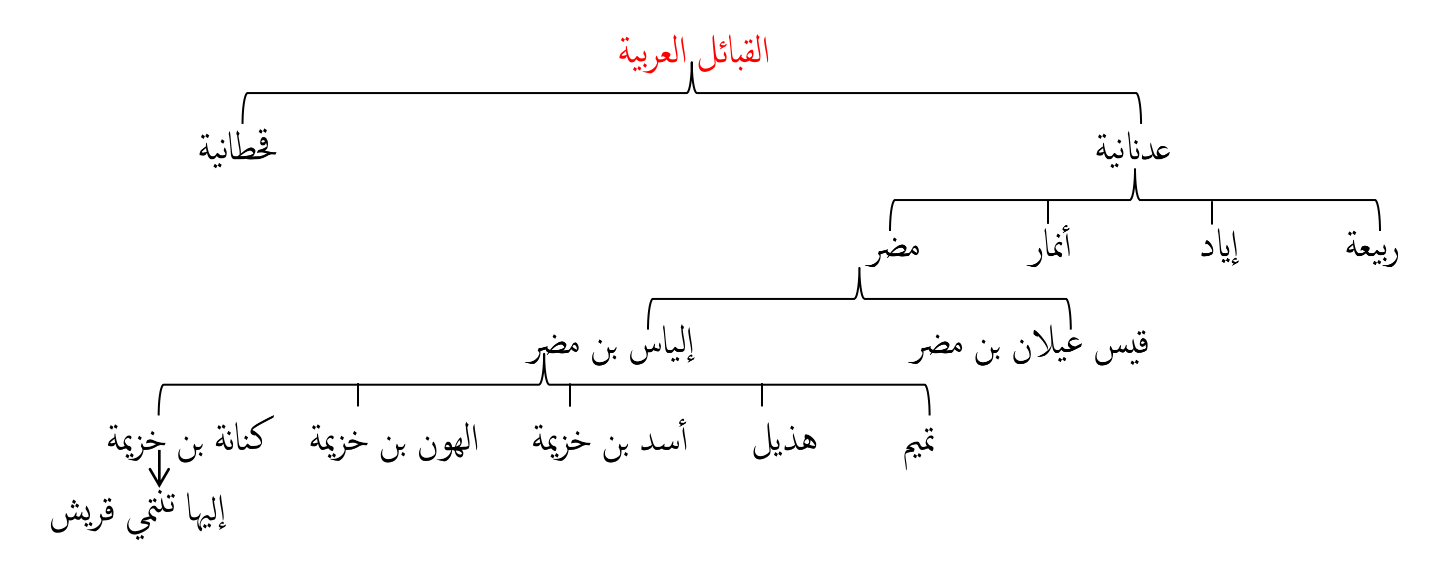
3- المسيحية: من أهم مراكزها كانت نجران في شمال اليمن.

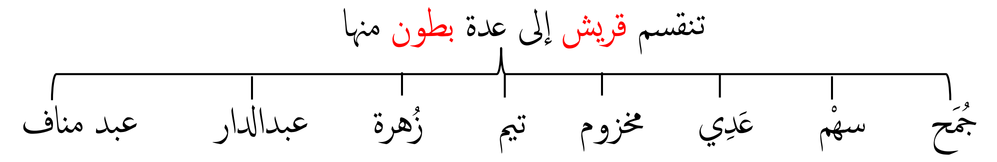
4- الوثنية: تأثرت بالعصبية القبلية، فكانت القبائل العربية الكبرى تتنافس في اتخاذ أصنام خاصة بها.

5- الحنيفية: عبادة الله الواحد ونبذ عبادة الأصنام. كان الحنفاء قلة بين العرب الوثنيين.

الفصل الأول: قريش ومكانتها الاجتماعية والاقتصادية قبل الإسلام

قريش بين القبائل العربية:





مكانة قريش بمكة ودور قصي بن كلاب في تأسيس تلك المكانة:

- كانت السلطة في مكة لقبيلة "جُرْهم" الذين تزوج منهم إسماعيل عليه السلام، وقد بقيت سدانة البيت الحرام فيهم ثلاثمائة عام.

- ثم آلت سدانة البيت ومفاتيحه إلى قبيلة خزاعة، فاشتراها قصي بن كلاب من أحدهم في مجلس سُكْرٍ له بزق خمر وتسلم مفاتيحه وأشهد عليه بذلك.

- لكن خزاعة لم تستسلم بسهولة، فجمعت جموعها لحرب قصي، فاستنصر قصي قومه فنصروه، وانتصروا على خزاعة وأجلوهم من مكة.

- قام قصي بجمع قريشًا من منازلهم في الشعاب ورؤوس جبال مكة، فقسم مكة بينهم.

- وأنشأ "دار الندوة" (دار قصي بن كلاب): وفيها كانت قريش تقضي أمورها، فكانوا ما يتشاورون في أمر ينزل بهم إلا فيها.

- قام قصي وأولاده من بعده بمسئولية رعاية البيت الحرام.

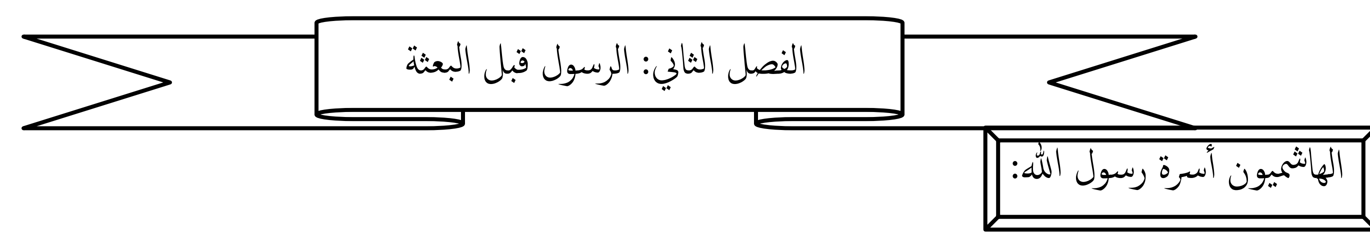
- نظم قصي بن كلاب وظائف الكعبة على النحو التالي:

- السِّقَاية: وتعني جلب الماء من مصادره إلى مكة لسقاية الحاج.
- الرِّفَادة: وتعني إطعام الحجيج في موسم الحج.
- الحجابة: وهي سدانة البيت، أي القيام عليه وحفظه وتولي مفاتيحه.
- اللواء: وهي راية يعقدونها على رمح عند إعلان الحرب ويرفعونها علامة على الجيش الذي يتبعونه.
- الندوة: وهي رياسة الاجتماعات المهمة طوال العام والتي كانت تعقد عادة في دار الندوة.

- لما كبر قصي بن كلاب عهد بوظائف الكعبة كلها إلى ابنه عبد الدار.
- تنازع بعد ذلك ابناء عبد الدار وأبناء إخوته حول هذه الوظائف، وانقسمت بطون قريش على نفسها.

- فانقسمت قريش إلى فريقين
  - المطيّبين: بنو عبد مناف، وبنو أسد، وبنو زُهرة، وبنو تيم، وبنو الحارث بن فهر.
  - الأحلاف: بنو عبد الدار، وبنو مخزوم، وبنو جُمَح، وبنو سهم، وبنو عدي بن كعب.

- وقد همَّ الفريقان بالقتال على وظائف الكعبة، ثم اصطلحوا على أن تكون لبني عبد مناف الرفادة والسقاية، وأن تستقر الحجابة واللواء والندوة في بني عبدالدار.



الهاشميون أسرة رسول الله:

- نسب رسول الله ← هو محمد بن عبدالله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة.

- جد الرسول الأعلى هاشم بن عبد مناف ← "هاشم" كان لقبه الذي غلب على اسمه الأصلي وهو "عمرو".

- ينسب الكثير من المؤرخين إلى هاشم أنه أول من سنَّ لقريش رحلتي الشتاء والصيف، وإن لم يكن هو أول من سنهما فإنه كان يحمي تلك الرحلات وينظمها فنسب إليه أنه أول من سنها.

- ولي بعد أبيه منصب السقاية والرفادة.
- توفي بغزة في إحدى رحلاته التجارية وهو في ريعان شبابه، ودفن هناك.

- جد الرسول المباشر عبد المطلب ← كان أبرز أولاد هاشم.

- جدد حفر بئر زمزم بعد أن كانت مطموسة من عهد جرهم.

- والد الرسول عبد الله بن عبد المطلب ← لقب بالذبيح الثاني.

- كان من أحب أبناء عبد المطلب إليه، فزوجه بنفسه آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زُهرة، وقد تزوجها عبد الله فحملت منه بمحمد -صلى الله عليه وسلم-.

- سافر عبد الله إلى الشام في تجارة لقريش، فلما فرغ من تجارته وانصرف راجعًا أحس بالمرض قبل وصوله إلى مكة، فنزل بالمدينة ولبث هناك شهرًا وهو مريض، ثم توفي ودفن بالمدينة وسنه حينذاك خمس وعشرون سنة.

- كان الرسول -صلى الله عليه وسلم- حينما توفي والده مازال جنينًا.

محمد -صلى الله عليه وسلم- منذ مولده إلى وفاة جده عبدالمطلب:

مولده: ولد -صلى الله عليه وسلم- يوم الاثنين في الثاني عشر من شهر ربيع الأول عام 570 أو 571م وهو عام الفيل.
ولد -صلى الله عليه وسلم- يتيمًا، فقام جده عبد المطلب بكفالته ورعايته.

رضاعته: رضع -صلى الله عليه وسلم- في البداية -بجانب أمه- من ثُوْيبة جارية عمه أبي لهب.
ثم أرضعته حليمة بنت أبي ذؤيب المعروفة بالسعدية.

*كان من عادة أشراف العرب أن يرسلوا أولادهم في مرحلة مبكرة من حياتهم إلى البادية ليستمدوا من طبيعة الحياة هناك صلابة وصحة بدن، فكانت المراضع من نساء البادية -أمثال حليمة- يأتين إلى الحضر بحثًا عن الرضعاء والتماسًا للرزق من وراء حضانتهم وإرضاعهم في البادية.

حضانته: أسبغت حليمة السعدية على محمد -صلى الله عليه وسلم- كل اهتمام ورعاية.
تذكر أصح الروايات أن الرسول ظل في حضانتها حتى الخامسة.

- توفيت أمه -صلى الله عليه وسلم- عندما جاوز عمره السادسة بثلاثة أشهر.

- ضمه جده عبد المطلب إليه بعد وفاة أمه آمنة، ورق عليه رقَّة لم يرقها إلى أولاده.

- توفي عبد المطلب وقد بلغ الرسول من العمر ثماني سنين.

محمد -صلى الله عليه وسلم- منذ وفاة جده عبد المطلب إلى زواجه بخديجة:

- وصى عبد المطلب ابنه أبو طالب بأن يتحمل مسئولية رعاية محمد -صلى الله عليه وسلم-.

- كفل أبو طالب الرسول فكان خير كافل.

- من أبرز الأحداث التي عاصرها الرسول في شبابه المبكر:

حرب الفِجَار: التي كانت بين كنانة وقيس عيلان، وقد سميت بذلك لما استحلت كنانة وقيس عيلان فيها من المحارم. انضمت قريش إلى كنانة في هذه الحرب، وشهد الرسول بعض أيامها مع أعمامه. وانتهت بعد أربع سنين من بدايتها.

حلف الفضول: هو حلف جمع عدد من بطون قريش تحالفت على ألا يُظْلَم بمكة غريب ولا قريب ولا حر ولا عبد إلا كانوا معه حتى يأخذوا له بحقه ويؤدوا إليه مظلمته من أنفسهم ومن غيرهم. ولقد كان الرسول أحد شهود هذا الحلف وهو في شبابه.

- اشتغل الرسول برعي الغنم لأهله ولأهل مكة ليخفف عن عمه أبو طالب بعض مؤونته لأن عمه كان كثير العيال.

- حينما بلغ الرسول الخامسة والعشرين من عمره خرج من مكة مشتغلًا في تجارة السيدة خديجة بنت خويلد.

محمد -صلى الله عليه وسلم- منذ زواجه بخديجة حتى البعثة:

- لما رأت السيدة خديجة محمدًا -صلى الله عليه وسلم- وعرفت ما كان يتحلى به من صفات نادرة عرضت عليه نفسها، فذكر ذلك لأعمامه، فخطبها له عمه حمزة من عمها عمرو بن أسد، فتزوجها الرسول وكانت سنه خمسًا وعشرين سنة.

- كانت خديجة تكبر الرسول بخمسة عشر عامًا.

- أغدقت عليه هذه الزوجة من حبها ورعايتها ما عوضه عن مرارة اليتم الذي ذاقه صغيرًا.

- كان الرسول يخلو بغار حراء فيتعبد فيه ويمكث الليالي قبل أن يرجع إلى أهله، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود.

- اشتهر الرسول في تلك الفترة بين أهل مكة بالصدق، والأمانة، والاستقامة، والبعد عن سفاسف الأمور.

- كانت رغبة الرسول في الخلوة والتأمل تتزايد يومًا بعد يوم وبلغت ذروتها في العام الذي اختاره الله فيه لرسالته.

- لما بلغ الرسول أشده وبلغ أربعين سنة بدأ في تلقي الوحي، وكان ذلك في السابع عشر من شهر رمضان.

بدء الوحي

بينما كان رسول الله في غار حراء مستغرقًا في عبادته إذ هتف به بغتة هاتف يقول له: يا محمد أنت رسول الله.

فيروى أن رسول الله قال: "فجثوت لركبتي وأنا قائم، ثم زحفت ترجف بوادري، ثم دخلت على خديجة فقلت: زملوني زملوني. حتي ذهب عني الروع، ثم أتاني فقال: يا محمد أنت رسول الله. قال: فلقد هممت أن أطرح نفسي من حالق من جبل، فتبدَّى لي حين هممت بذلك، فقال: يا محمد، أنا جبريل، وأنت رسول الله. ثم قال: اقرأ. قلت ما اقرأ؟ قال فأخذني فَغَتَّني (أو غَطَّني) ثلاث مرات (أي ضمني بشدة)حتى بلغ مني الجهد، ثم قال:"اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ" فقرأت، فأتيت خديجة فقلت: لقد أشفقت على نفسي، فأخبرتها خبري، فقالت: أَبْشِر، فوالله لا يخزيك الله أبدًا، والله إنك لتصل الرحم وتَصْدُق الحديث وتؤدي الأمانة، وتحمل الكَلَّ وتَقْرِي الضيف وتُعين على نوائب الحق"

- انطلقت السيدة خديجة برسول الله إلى ابن عمها ورقة بن نوفل، فقال له: "هذا الناموس الذي أنزل على موسى بن عمران، ليتني فيها جَذَع! ليتني أكون حيًا حين يخرجك قومك" فقال -صلى الله عليه وسلم-: "أَمُخْرِجيَّ هم؟" قال: "نعم، إنه لم يجئ رجل قط بما جئت به إلا عُودِيَ، ولئن أدركني يومك أنصرك نصرًا مؤزرًا"

- استمر الرسول يذهب إلى غار حراء بعد أن تلقى آيات الوحي الأولى من سورة العلق. وبعد طول انتظار تراءى له جبريل ثانية في غار حراء فتملكته الرهبة وكرَّ راجعًا إلى أهله يقول: "زملوني زملوني" أى دثروني وغطوني، فأنزل الله "يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (1) قُمْ فَأَنْذِرْ (2) وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ" فتضمنت تلك الآيات تكليفًا للرسول بالإنذار، أي بتبليغ كلمة الله.

- مرت الدعوة بمرحلتين:

1- الدعوة في مرحلة الكتمان: كان الرسول يدعو من يثق فيه من أهله وخلانه، فكان أول من آمن به زوجته خديجة.

وكان أول من آمن من الصبيان علي بن أبي طالب، ومن الرجال أبو بكر الصديق، ومن الموالي زيد بن حارثة.

* استمرت تلك المرحلة ثلاث سنوات.

* في تلك المرحلة كان الرسول يلتقي بالمسلمين سرًا في دار الأرقم بن أبي الأرقم، ليبلغهم ما ينزل به الوحي.

* بدأ الرسول بدعوة بني عبد المطلب لما نزلت عليه آية "وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ" فأحجم القوم جميعًا إلا علي بن أبي طالب.

2- الدعوة في مرحلة الجهر: أمر الله نبيه أن يصدع بما جاءه منه، وأن يبادئ الناس بأمره ويدعو إليه فقال له:

"فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ".

قريش ومقاومة الدعوة:

- عندما بدأ الرسول يوضح موقف الإسلام من عبادة الأصنام ويذكر آلهة قريش ويعيبها أدركت قريش خطر هذه الدعوة، فكانت مراحل مقاومتهم تدريجية وكانت كالآتي:

أولًا: ذهبوا إلى أبي طالب عم الرسول يشكون إليه، فلم يزدهم على أن ردهم ردًا جميلًا وقال لهم قولًا رقيقًا.

ثانيًا: ذهبوا يشكون إلى أبي طالب بتهديد له وللرسول فقالوا له: "إننا لا نصبر على هذا... حتى تكُفَّه عنا، أو ننازله وإياك في ذلك حتى يهلك أحد الفريقين"

* فبعث أبو طالب إلى الرسول فقال له الرسول: "يا عمِّ، والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه ما تركته". فقال له عمه: "اذهب يا ابن أخي فقل ما أحببت؛ فوالله لا أسلمك لشيء أبدًا".

ثالثًا: أخذوا إليه عُمَارة بن الوليد بن المغيرة المخزومي ليتخذه ولدًا له -وقد كان أجمل فتى في قريش-، ويُسْلِمِ لهم ابن أخيه ليقتلوه، فإنما هو رجل برجل. فرفض أبو طالب هذا العرض.

رابعًا: تعذيب المستعضفين من أصحاب رسول الله.

الفصل الرابع: الهجرة إلى الحبشة وتطور الدعوة في مكة حتى وفاة أبي طالب وخديجة

أولًا: الهجرة إلى الحبشة: ملابساتها ودوافعها وموقف القرشيين منها:

- اشتد الأذى بأصحاب رسول الله، وأصبح هذا الأذى تهديدًا حقيقيًا لهؤلاء في حياتهم وعقيدتهم.

- لذا ارتكزت دوافع الهجرة على محورين هما:
  - حماية الدين.
  - حماية النفس.

- أسباب اختيار الحبشة دون سواها :

أولًا: ما عُرف عن نجاشي الحبشة آنذاك من عدل وصلاح.

ثانيًا: أن الحبشة كانت من الأماكن التي تروج فيها تجارة قريش، لذا فإن المهاجرين سيجدون فيها مصدرًا للرزق عن طريق اشتغالهم بالتجارة.

- لم يهاجر الرسول وظل بمكة حتى ينشر كلمة الله بين عبدة الأوثان رغم كل المصاعب.

هجرة المسلمين إلى الحبشة

الهجرة الأولى

*كانت في رجب في السنة الخامسة من البعثة.

* ضمت اثني عشر رجلًا وخمس نسوة.

* مكثوا في الحبشة ثلاثة أشهر ثم عادوا إلى مكة.

* أسباب العودة إلى مكة: قلة عددهم، مما عمق إحساسهم بالغربة.

وما ترامى إلى مسامعهم من اتساع دائرة الإسلام بمكة.

* لما اقتربوا من مكة بلغهم أن قريشًا مازالت على عداوتها للرسول.

* فدخل من دخل منهم بجوار و دخل البعض الآخر مستخفيًا.

* تعرض المهاجرون الأولون للأذى بعد عودتهم.

* فرجعوا ثانية إلى الحبشة وانضم إليهم كثير من المسلمين.

الهجرة الثانية

* الأرجح أنها كانت في مطالع العام السادس للبعثة.

* ضمت سبعين إلى بضع وثمانين رجلًا سوى نسائهم وأولادهم.

* مكث بعضهم في الحبشة أربعة عشر عامًا، وآثر بعضهم العودة إلى مكة قبل هجرة الرسول إلى المدينة.

- أرسلت قريش إلى النجاشي بعثة مكونة من عمرو بن العاص وعبد الله بن أبي ربيعة بعد الهجرة إلى الحبشة بقليل.

- وكان هدف قريش هو الوقيعة بين النجاشي وبين المهاجرين المسلمين.

- أبى النجاشي أن يرد المهاجرين إلى قريش.

إسلام حمزة وعمر بن الخطاب وتأثير ذلك في مسار الدعوة:

- جاء إسلام حمزة في العام الخامس أو السادس للبعثة، وجاء إسلام عمر بعد إسلام حمزة. فكان إسلامهما عزًا للإسلام.

اتجاه قريش في مقاومة الدعوة بعد هجرة الحبشة:

- ارتكزت مقاومة قريش بعد الهجرة للحبشة على محورين:

أولًا: إنزال الأذى المباشر بالرسول: حيث تدرجت قريش في إيذائها للرسول:

← فسلطت عليه في البداية ألوانًا من الأذى النفسي، فرمته بالسحر والكهانة والجنون وأنه شاعر. ولم يتسبب ذلك في صرف الناس عن دعوته.

← بعد ذلك بدأت قريش تبسط لسانها في الرسول بالسب المباشر القبيح، كما بدأت تناله بالأذى البدني.

ثانيًا: حصار قريش لبني هاشم وبني المطلب: وقد حدث هذا الحصار في السنة السادسة من البعثة.

* تعاقدت قريش في صحيفة على ألا يزوجوا أحدًا من بني هاشم وبني المطلب ولا يتزوجوا منهم، ولا يبيعوهم شيئًا ولا يبتاعوا منهم.

* استمر بنو هاشم وبنو المطلب يعانون من وطأة هذا الحصار ثلاث سنين.

* أحس بضع رجال من قريش بمدى الجُرْم الذي يرتكبونه ضد بني عمومتهم فسعوا إلى نقض هذه الصحيفة الظالمة ورفعها من جوف الكعبة وتمزيقها، وحينما تقدم المطعم بن عدي إلى الصحيفة ليمزقها وجد الأرضة قد أكلتها إلا عبارة "باسمك اللهم". وبذلك انتهى هذا الحصار الأثيم.

وفاة أبي طالب وخديجة:

- توفي كل من أبي طالب عم الرسول وخديجة زوجته في عام واحد، وكان ذلك في العام العاشر من البعثة.

- أطلق الرسول على هذا العام "عام الحزن".

- ازدادت جرأة قريش على الرسول بعدما فقدهما، وخاصة عمه أبا طالب الذي كان يدفع عنه كثيرًا من طيشهم.

الفصل الخامس: تطور الدعوة في مكة منذ وفاة أبي طالب وخديجة حتى الهجرة إلى المدينة

- تعد الثلاث سنوات التي تلت وفاة أبي طالب وخديجة من أكثر الفترات حسمًا في تاريخ الدعوة الإسلامية بمكة، وأهم الأحداث التي حدثت في تلك السنوات هي:

1- رحلة الرسول إلى الطائف: فكر الرسول في ارتياد ميدان جديد من ميادين الدعوة، لعله يجد فيه آذانًا صاغية، فذهب إلى مدينة الطائف يعرض على أهلها من ثقيف دعوة الإسلام.

* فخرج إليها وكان بصحبته مولاه زيد بن حارثة، وكان ذلك في السنة العاشرة من البعثة.

* فأعرضوا عنه وسخروا منه، ثم أغروا به سفهاءهم وعبيدهم يسبونه ويرجمونه.

* اضطر الرسول إزاء مطاردة سفهاء ثقيف له أن يلجأ إلى بستان محتميًا به، فجلس هناك تحت ظل كرمة يناجي ربه.

* لم يستطع الرسول أن يدخل مكة بغير جوار، فلم يجره إلا المطعم بن عدي.

2- الإسراء والمعراج: كانت نوعًا من الدعم النفسي للرسول في محنته، حتى يستطيع أن يواصل طريق الدعوة.

3- بيعتا العقبة:

*كان الرسول يعرض نفسه في المواسم على قبائل العرب يدعوهم إلى دين الله، فكان يلقى إعراضًا وتكذيبًا منهم.

* وكان كفار قريش يحاولون الوقوف في وجهه وصد الناس عنه وهو يبلغ دعوته في المواسم.

* خرج الرسول في أحد المواسم في العام الحادي عشر للبعثة، فعرض نفسه على قبائل العرب. فلقي ستة رجال من الخزرج، فدعاهم إلى الله وعرض عليهم الإسلام فأجابوه وصدقوه وقالوا له: "إنا قد تركنا قومنا ولا قوم بينهم من العداوة والشر ما بينهم، وعسى الله أن يجمعهم بك. وسنقدم عليهم فندعوهم إلى أمرك ونعرض عليهم الذي أجبناك إليه من هذا الدين؛ فإن يجمعهم الله عليه فلا رجل أعز منك".

* فلما قَدِم هؤلاء يثرب على قومهم ذكروا لهم رسول الله ودعوهم إلى الإسلام حتى انتشر فيهم.

بيعتا العقبة

بيعة العقبة الأولى (بيعة النساء)

* بعد مضي عام على لقاء الرجال الستة من الخزرج بالرسول يمَّم اثنا عشر رجلًا من الأنصار شطر مكة، فلقوا الرسول وبايعوه البيعة التي اشتهرت باسم "بيعة العقبة الأولى".

* بايعوا الرسول على ألا يشركوا بالله شيئًا، ولا يسرقوا، ولايزنوا، ولا يقتلوا أولادهم، ولا يأتوا ببهتان يفتروه من بين أيديهم وأرجلهم، ولا يعصوه في معروف.

بيعة العقبة الثانية (بيعة الحرب)

*كانت في العام الثالث عشر للبعثة، وقبل الهجرة بثلاثة أشهر.

* قدم إليها ثلاثة وسبعون رجلًا، ومعهم امرأتان.

* فبايعوا الرسول على أن يمنعوه مما يمنعون منه نساءهم وأبناءهم.

* فهم بذلك قد بايعوه على أن ينصروه ويحاربوا معه.

العوامل التي جعلت عرب يثرب أسرع من سواهم من قبائل العرب إلى الاستجابة لدعوة الرسول والوقوف بجانبه:

أولًا: ما ترتب على جوار العرب لليهود في يثرب من آثار روحية جعلت العرب هناك أكثر تقبلًا لحقيقة الدين السماوي الذي جاء به الرسول.

ثانيًا: التوتر المتصل في العلاقات بين اليهود والعرب في يثرب، فأسرع عرب يثرب لاعتناق الإسلام ليكتسبوا بإسلامهم عزًا وسلطانًا في وجه من يتحداهم من اليهود.

ثالثًا: العداء المحتدم بين عرب يثرب من الأوس والخزرج، مما جعلهم يأملون في أن يجمعهم الله على كلمة واحدة.

الفصل السادس: الهجرة إلى المدينة ونشأة الدولة الإسلامية

- لم يتردد الرسول والمسلمون في الهجرة إلى يثرب فرارًا بدينهم من اضطهاد قريش.

الهجرة وموقف قريش منها:

- بدأ المسلمون ينفذون أمر الرسول بالهجرة دون إبطاء، بينما أقام الرسول بمكة ينتظر أن يأذن له ربه بالخروج منها.

- كان أكثر ما يُفْزِع قريشًا أن يلحق الرسول بأصحابه بيثرب؛ لأنه إن فعل أصبحت للمسلمين هناك قيادة توشك أن تجتاحهم بحرب تقضي على نظامهم كله.

- اجتمع مشركو قريش في دار الندوة، يتشاورون فيها ما يصنعون في أمر رسول الله حين خافوه، وقد حضر في هذا الاجتماع ممثلون عن كل قبيلة من قبائل قريش.

- لقي اقتراح أبي جهل استحسان الجميع وهو أن يأخذوا من كل قبيلة شابًا، فيعطوا كلًا منهم سيفًا فيضربوه بها ضربة رجل واحد، فيتفرق دمه في القبائل جميعها، فيقبل بنو عبد مناف منهم الدية لمًّا لا يستطيعون محاربتهم جميعًا.

- اتخذ الرسول قرار الهجرة في الليلة نفسها التي بيتت فيها قريش قتله.

- أدوار الصحابة وغيرهم في الهجرة:

أبو بكر الصديق: كان صاحب الرسول في الهجرة، فأعد راحلتين؛ واحدة له والأخرى للرسول.

علي بن أبي طالب: نام في فراش الرسول ليلة الهجرة، عندما أحاط الكافرون ببيت رسول الله، وأدى الودائع التي كانت عند الرسول إلى أهلها.

عبد الله بن أريقط: كان الدليل على الطريق، فأوصلهما لغار ثور الذي أختبئا فيه ثلاثة أيام قبل أن يكملا معه المسير ليثرب. وقد سلك بهما طرقًا غير معروفة بالقرب من ساحل البحر الأحمر.

عبد الله بن أبي بكر: كان يسمع ما يقوله المشركون في أثناء النهار ثم يأتيهما بما سمع ليلًا.

أسماء بنت أبي بكر: كانت إذا أمست تأتيهما بالطعام الذي يحتاجان إليه.

عامر بن فهيرة: كانت مهمته أن يرعى غنم مولاه بين أهل مكة نهارًا ثم يتبع بالغنم أثر عبد الله وأسماء في طريقهما من وإلى الغار، حتى لا يجد المشركون دليلًا على مخبأ الرسول وأبي بكر.

المدينة والنشأة المبكرة للدولة الإسلامية:

- تحققت عناصر الدولة في المدينة، فهناك الأرض: المتمثلة في حدود المدينة، وهناك الشعب: المتمثل في المجتمع المسلم الذي يهيمن على تلك الأرض، وهناك القيادة: المتمثلة في الرسول.

الخطوات التي اتخذها الرسول لتوطيد قواعد الدولة الجديدة:

أولًا: إصدار دستور المدينة: وهي صحيفة كفلت لليهود حرية الدين والعبادة، وأمنتهم على أنفسهم وأموالهم، وأعطتهم حق المواطنة الكاملة في هذه الدولة. أما عرب المدينة غير المسلمين فعليهم ألا يجيروا مشركي قريش ولا من ناصرهم.

ثانيًا: عقد حلف التضامن والإخاء بين مسلمي المدينة: فأصبح مسلمو المدينة على أساسه ملزمين بأن يكونوا يدًا واحدة على عدوهم، وأن ينصف بعضهم بعضًا. وتعميقًا لمفهوم هذا الحلف آخى الرسول بين المهاجرين والأنصار.

ثالثًا: بناء مسجد الرسول بالمدينة: كان المسجد يعني تهيئة مكان للصلاة، وغير ذلك من الأمور التي تتصل بإدارة الدولة.

الفصل السابع: تطور العلاقة بين المسلمين ومشركي قريش منذ الهجرة حتى صلح الحديبية (1-6 هـ)

المناوشات الأولى بين المسلمين ومشركي قريش:

- بعد الهجرة إلى المدينة نزل إذن الله للمسلمين بالقتال في قوله تعالى: "**أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا ۚ وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ (39) الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ**"
- ولما كان اقتصاد مكة ورخاؤها قائمًا على التجارة فقد كانت أشد الضربات إيلامًا للمكيين هي تلك التي تعرقل طريق تجارتهم. ومن هنا رأى الرسول أن يشن بعض الحملات على قوافل المكيين التجارية.

**سرايا ما قبل بدر:

مكان الحملة	تاريخ الحملة	عدد المسلمين	عدد الكافرين	النتيجة
-	الشهور الأولى في العام الأول هجريًا.	ثلاثين رجلًا بقيادة حمزة بن عبد المطلب.	قافلة تجارية قادمة من الشام لمكة بها ثلاثمائة رجل.	لم يكن بها قتال.
ماء "أحياء" بالحجاز.	العام الأول هجريًا.	ستون أو ثمانون رجلًا بقيادة عبيدة بن الحارث.	مائتي رجل بقيادة أبي سفيان بن حرب أو عكرمة بن أبي جهل.	لم يكن بها قتال.

**غزوات ما قبل بدر:

مكان الغزوة	تاريخ الغزوة	عدد المسلمين	عدد الكافرين	النتيجة
"الأبواء" بين مكة والمدينة.	صفر من السنة الثانية للهجرة.	-	عير لقريش.	لم يلق الرسول تلك العير، لكنه وادع بني ضمرة من كنانة على ألا يعينوا عليه أحد.
"بواط".	ربيع الأول من السنة نفسها.	الرسول مع مائتين من أصحابه.	عير لقريش بها مائة رجل وألفان وخمسمائة بعير.	لم تحدث مواجهة بين الطرفين.
"بدر" وسميت غزوة بدر الأولى.	ربيع الأول من السنة نفسها.	-	كُرز بن جابر الفِهْري الذي أغار على إبل وأغنام المدينة.	خرج الرسول يطلبه في بعض أصحابه ولم يدركه.
"العُشَيْرة" بينبع وعرفت الغزوة بذات العشيرة.	جمادى أولى وبعضًا من جمادى الثانية من العام نفسه.	الرسول في مائة وخمسين أو مائتين من المهاجرين.	عير لقريش متوجهة إلى الشام.	لم تحدث مواجهة بين الطرفين، ووادع فيها الرسول بني مُدْلج وحلفائهم.

- كل المشتركين في تلك السرايا والغزوات كانوا من المهاجرين؛ وذلك لأن الأنصار شرطوا للرسول أن يمنعوه في دارهم.

سرية نخلة ومقدمات غزوة بدر:

- في رجب من السنة الثانية للهجرة بعث الرسول رجالًا من المهاجرين إلى مكان يسمى "نخلة" بين مكة والطائف ليترصدوا قريشًا ويتعلَّموا من أخبارهم.

- فمرت بهم عير تحمل تجارة لقريش وكان ذلك في أخر يوم من رجب (أحد الأشهر الحرم). فأجمعوا على قتالهم، فقتلوا واحدًا وأسروا اثنين، واستولوا على عير قريش، وقدموا بها مع الأسيرين على الرسول بالمدينة.

- لم يطب الرسول نفسًا بما فعلوا، بل عنفهم ورفض أن يقبل الغنيمة.

- استغلت قريش هذا الموقف لمحاولت التشنيع على المسلمين وقالت: "قد استحل محمد وأصحابه الشهر الحرام..."

- أنزل الله قوله: "يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ اللَّهِ ۚ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ ۗ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا ۚ" فاطمأن الرسول وقبض العير والأسيرين.

موقعة بدر: (17 رمضان 2 هـ):

- بعد سرية نخلة بقليل خرج أبو سفيان بن حرب يقود قافلة تجارية ضخمة إلى الشام مكونة من ألف بعير، وكان معه ما يقرب من سبعين رجلًا من قبائل قريش.

- ترامت الأنباء إلى الرسول فأمر أصحابه أن يخرجوا معه لينتظروهم في طريق العودة حتى يستردوا جانبًا من حقوقهم التي اغتصبها كفار قريش. وقد عسكر المسلمون عند بئر بدر.

- سمع أبو سفيان بخروج الرسول وأصحابه فسلك طريق الساحل وتحاشي المرور ببدر. وفي الوقت نفسه أرسل إلى قريش يخبرهم أن محمدًا وأصحابه معترضون لهم، ويطلب منهم أن يجيروا تجارتهم.

- نفر عدد كبير من قريش يريدون قتال المسلمين ولم تكن بالمسلمين نية قتال.

- كان عددهم تسعمائة وخمسين وكان الهدف الأساسي لهذا الجيش هو حماية عير أبي سفيان، فلما نجا أبو سفيان بقافلته انقسم مشركو قريش فمنهم من رأى عودة الجيش إلى مكة ومنهم من رأى مواجهة المسلمين، فغلب الرأى الأخير.

- كان أول ما فعله الرسول والمسلمون أنهم سبقوا المشركين إلى الماء فاحتلوه وحالوا بينه وبين المشركين.

- استعان الرسول بالأنصار فنصروه وخرجوا من المدينة للحرب معه.

- كان عدد المسلمين في تلك الغزوة في حدود الثلاثمائة.

- قُتل في تلك الغزوة سبعون أو أكثر من صناديد الكفر منهم أبو جهل وأمية بن خلف وحنظلة بن أبي سفيان بن حرب. وأُسر منهم سبعون أو يزيد منهم العباس بن عبد المطلب وعقبة بن معيط والنضر بن الحارث.

أهم نتائج غزوة بدر:

أولًا: جاءت الغزوة لتؤكد للجميع أن المسلمين أصبحوا قوة مرهوبة الجانب لا مطمع فيها لطامع.

ثانيًا: ساعد انتصار بدر على نشر كلمة الإسلام، فكان هذا الدين يثير فضول الكثير من العرب ممن سمعوا بهذا النصر.

ثالثًا: كان انتصار المسلمين لطمة قاسية لقريش زلزلت كيانها وأفقدتها الثقة في نفسها.

رابعًا: بعد انتصار المسلمين في بدر بدأ يهود المدينة يُظْهرون بعض ما كانوا يخفونه تجاه المسلمين من حسد وضغينة.

في أعقاب بدر:

اسم الغزوة أو السرية	تاريخ الغزوة أو السرية	السبب	النتيجة
غزوة السويق.	ذي الحجة من السنة الثانية للهجرة.	خروج أبو سفيان وبعض الرجال ليتعرفوا إلى أخبار المسلمين من أحد رؤساء اليهود. وفي خروجهم قتلوا أنصاريًا وأجيرًا له، وأحرقوا بيتين بالمدينة وبعض النخيل هناك.	خرج الرسول في طلبهم، فهربوا منه وكانوا يلقون ما معهم من جُرُب السويق.
سرية القَرَدة.	جمادى الآخرة في السنة الثالثة للهجرة.	تأديب قريش على فعلتها. فعلم الرسول بخروج عير لقريش في تجارة إلى الشام، فندب زيد بن حارثة في مائة راكب لمهاجمتها. فأدركها زيد عند ماء "القردة".	استولى زيد على العير وما فيها، وأسر رجلًا أو رجلين ممن كانا فيها.

غزوة أحد: (شوال 3 هـ):

- أجمعت قريش على قتال المسلمين، فاجتمع لها ثلاثة آلاف رجل.

- أبلغ العباس بن عبد المطلب رسول الله بتحرك جيش قريش وبعدده وعدته في كتاب أرسله إليه من مكة.

- جمع الرسول أصحابه واستشارهم في الإجراء الذي ينبغي أن يتخذه لمواجهة هذا الموقف: فهو إما أن يخرج بأصحابه من المدينة للقاء العدو، وإما أن يتحصن المسلمون بداخلها فإن حاول العدو اقتحامها قاتلوه فيها. وكان الخيار الثاني هو الأمثل عند الرسول.

- آثر جمهور المسلمين الخروج من المدينة للقاء العدو، فلم يجد الرسول بُدًّا من النزول على رأى جمهور أصحابه إعمالًا لمبدأ الشورى.

- خرج الرسول في ألف من أصحابه. ثم تراجع عبد الله بن أبي بن سلول، وعاد بثلث الناس حين كان ببعض الطريق، وذلك لغضبه من استجابة الرسول لرأى الأغلبية.

- فمضى الرسول بمن بقي من أصحابه، وكانوا سبعمائة، حتى نزل بجوار جبل أحد.

- وجّه الرسول اهتمامًا خاصًا لجماعة الرماة إدراكًا منه لخطورة دورهم في دفع الخيل عن معكسر المسلمين؛ ومن هنا أصدر تعليماته الحاسمة للرماة بألا يبرحوا أماكنهم مهما كانت تطورات المعركة.

- سارت المعركة في بدايتها في صالح المسلمين تمامًا، حتى رأى الرماة الهزيمة تحل بالمشركين ونظروا إلى الرسول والمسلمين وهم في جوف معسكر قريش يجمعون الغنائم، فصاحوا: الغنيمة! الغنيمة! وتركوا مواقعهم.

- انكشف ظهر المسلمين أمام عدوهم، فدخل فرسان المشركين عسكر المسلمين دون أن يجدوا من يتصدى لهم.

- وفي غمرة هذه الفوضى والاضطراب سرت إشاعة مقتل رسول الله بين صفوف المسلمين فزلزلوا زلزالًا شديدًا، وولَّى كثير منهم الأدبار، ثم علم المسلمون أن الرسول لم يقتل فاطمأنت نفوسهم.

- لحق الأذي بالرسول من المشركين في المعركة؛ فشُج في وجهه وكسرت إحدى أسنانه وجرحت شفته.

- انجلت معركة أحد وقد استشهد من المسلمين حوالي سبعون، وكان من بين الشهداء حمزة بن عبد المطلب.

- الدروس التي استفادها المسلمون من غزوة أحد:

1- الحرص على حطام الدنيا لا ينبغي أن يلابس جهادهم في سبيل الله.
2- عدم الالتزام بأوامر القائد يوردهم موارد الهلاك.

- بعد انتصار قريش انصرف أبو سفيان وهو يقول: "إن موعدكم بدر العام المقبل". فأمر الرسول عمر أن يجيبه: "نعم، هي بيننا وبينك موعد".

في أعقاب أحد:

اسم الغزوة	تاريخ الغزوة	السبب	النتيجة
حمراء الأسد.	اليوم التالي لمعركة أحد.	التأكيد أن المسلمين لم تضعف قوتهم. فخرج الرسول يطلب العدو وخرج معه المسلمون وفيهم الجراحات حتى وصلوا "حمراء الأسد".	لم تجرؤ قريش على المواجهة، فأقام الرسول والمسلمون بها ثلاثة أيام ثم رجعوا للمدينة.
بدر الموعد.	العام التالي لأحد. أي العام الرابع هجريًا.	قول أبو سفيان في أحد "إن موعدكم بدر العام المقبل". فخرج الرسول لبدر بألف وخمسمائة من أصحابه، وخرج أبو سفيان بألفين من أهل مكة.	رجع أبو سفيان بجيشه حين كان بالطريق، وكان سببه أن ذلك العام كان جدب. بينما أقام الرسول ببدر ثمانية أيام ثم رجع.

غزوة الخندق: (ذو القعدة 5 هـ):

- من أسباب الغزوة:

1- شعور قريش بالإحباط والرغبة في الانتقام من الرسول وصحبه بسبب عجزها عن مواجهة المسلمين في "بدر الموعد".
2- رغبة اليهود في الإطاحة بدولة المدينة، وخصوصًا أن الرسول قد اضطر لإجلاء يهود بني قينقاع وبني النضير عن المدينة في العامين الثاني والرابع على التوالي بسبب نقضهم العهد معه.

- وقد سميت هذه الغزوة بالأحزاب لتحالف قريش مع اليهود (بني النضير) مع غطفان ضد المسلمين.

- وصل عدد جيش الأحزاب إلى عشرة آلاف، وكانت القيادة العامة لأبي سفيان.

- توجه بعض رجال خزاعة إلى الرسول بالمدينة ليخبروه بخروج قريش لحربه، فأعد جيشًا بلغ ثلاثة آلاف مقاتل.

- استشار الرسول أصحابه، فأشار عليه سلمان الفارسي بحفر خندق حول المدينة، فنفذ الرسول اقتراحه.

- تواطأ يهود بني قريظة مع الأحزاب. فلما سمع الرسول بنقضهم العهد أرسل إليهم فقالوا: لا عقد بيننا وبين محمد ولا عهد.

- وقف الأحزاب أمام الخندق عاجزين عن اقتحامه، ففرضوا حصارًا على المدينة دام خمسة عشر يومًا أو بضعًا وعشرين ليلة طبقًا لبعض الروايات.

- عندما طال الحصار على المسلمين دون أن تلوح أمامهم بوادر النهاية أراد الرسول أن يصالح غطفان على ثلث ثمار المدينة على أن يرفعوا الحصار عن المدينة وذلك تخفيفًا عن أنصار المدينة ما هم ملاقوه من عداوة العرب. فاستشار الرسول سعد بن معاذ، وسعد بن عبادة في هذا الصلح، فأشار سعد بن معاذ عليه ألا يقوم بهذا الصلح، فعدل الرسول عن اتجاهه للصلح مع غطفان.

- أسلم أحد رجال غطفان واسمه نُعيم بن مسعود، فجاء إلى الرسول فقال له: يا رسول الله، إني قد أسلمت، وإن قومي لم يعلموا بإسلامي، فمرني بما شئت. فقال له الرسول: "إنما أنت فينا رجل واحد، فَخَذِّلْ عنا إن استطعت -أي اجعلهم يفشلون ويتركون قتالنا- فإن الحرب خدعة".

- قام نعيم بالوقيعة بين بني قريظة من جانب، وقريش وغطفان من جانب آخر. وقد أسفرت تلك الوقيعة عن تخاذل الفريقين.

- تعرضت الأحزاب لريح عاتية في ليلة شاتية قاسية البرودة، فكفأت قدورهم، وطرحت أبنيتهم، وأثارت الذعر والفوضى في معسكرهم فلم يجدوا أمامهم إلا أن يرتدوا على أعقابهم.

- استشهد من المسلمين ستة خلال بعض المناوشات، وأصيب الصحابي سعد بن معاذ -سيد الأوس- بسهم في ذراعه، ثم مات بعد ذلك متأثرًا بإصابته.

- مثلت غزوة الخندق آخر مدى وصلت إليه محاولات المكيين للقضاء على دولة الإسلام في المدينة.

- لم تكد تنتهي غزوة الخندق حتى أذن مؤذن الرسول في المسلمين أن يتوجهوا من فورهم إلى بني قريظة الذين نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم.

من الخندق إلى صلح الحديبية:

اسم الغزوة	تاريخ الغزوة	السبب	النتيجة
بني لحيان.	ربيع أول، أو جمادى أولى من عام 6 هـ.	إرسال الرسول سبعة من المسلمين إلى بني لحيان ليفقهوهم في الدين. فقُتِل منهم خمسة، وأُسِر اثنان تم بيعهما إلى قريش لتقتلهما.	خروج الرسول في مائتين من أصحابه ليغزوهم، فلما سمعوا بمقدمه هربوا وتمنعوا في رؤوس الجبال.
الغابة.	ربيع الثاني سنة 6 هـ.	غارة من غارات الأعراب على إبل الرسول بمكان يقال له "الغابة"، فاستولوا على الإبل وهربوا بها. فسار الرسول في إثرهم في خمسمائة من أصحابه.	استطاع المسلمون أن يستردوا بعض الإبل، وقتلوا من المغيرين أربعة، واستشهد من المسلمين واحد
بني المصطلق.	شعبان سنة 6 هـ.	بلغ الرسول أن بني المصطلق يجتمعون له ويتهيأون لحربه.	خرج إليهم الرسول في جيش، وانتهت المعركة بهزيمة بني المصطلق.

صلح الحديبية: (ذو القعدة 6 هـ):

أسبابه:

* خروج الرسول في ألف وخمسمائة من أصحابه في مستهل ذي القعدة عام 6 هجريًا متوجهًا نحو مكة معتمرًا لا يريد حربًا.
* عندما سمعت قريش بمسير الرسول إلى مكة خرجت بالعُدَّة والعدد لتصد المسلمين عن البيت الحرام.
* استمر الرسول في المسير حتى وصل إلى "الحُدَيبية" وهي تبعد بضعة أميال عن مكة، فنزل بها هو والمسلمون.
* في الحديبية جاء إلى الرسول بُدَيل بن ورقاء الخزاعي وذكر للرسول أنه جاء من عند قريش وأنهم قد خرجوا في الجيش الكثيف. فأكد الرسول لبُدَيل أن المسلمين ما جاءوا لقتال وإنما لزيارة البيت، وأبدى استعداده أن يعقد هدنة مع قريش.
* جرت عدة محادثات بين الرسول وقريش. وكان هدف قريش ألا تظهر أمام العرب بمظهر المغلوبة على أمرها إذا دخل المسلمون مكة دون رضاها. فوقفت بكل قوتها لتحول بين المسلمين وبين دخولهم مكة عامهم هذا.
* أرسل الرسول عثمان بن عفان إلى قريش، فلم تستجب قريش لسفارة عثمان، وكل ما عرضته عليه هو أن يطوف هو بالبيت إن أراد فرفض عثمان ذلك، واحتبسته قريش عندها وأشيع بين المسلمين أنها قتلته.
* لما بلغ ذلك رسول الله قال: "لانبرح حتى نناجز القوم"! ودعا المسلمين إلى بيعته على الثبات وعدم الفرار في وجه قريش، وقد سميت تلك البيعة ببيعة الرضوان. وبعد هذه البيعة رجع عثمان إلى المسلمين، فاتضح زيف أمر قتله.

أحداثه:

* بعثت قريش إلى الرسول سهيل بن عمرو وقالوا له: "ائت محمدًا فصالحه؛ ولا يكن في صلحه إلَّا أن يرجع عنَّا عامه هذا؛ فوالله لا تَحَدَّثُ العرب أنه دخل علينا عنوة أبدًا".

* جرى صلح الحديبية التي تمثلت بنوده في:

1- أن تتوقف الحرب بين قريش والمسلمين عشر سنين.

2- من أحب أن يدخل في عهد محمد وعقده فعل، ومن أحب أن يدخل في عهد قريش وعقدها فعل.

3- من جاء إلى محمد من قريش بغير إذن وليه رده إليه، ومن جاء إلى قريش من أصحاب محمد لم ترده.

4- يرجع المسلمون عن مكة عامهم هذا ويدخلونها في العام القادم على أن يقيموا بها ثلاثة أيام بعد أن تخرج قريش منها.

ميزاته:

* نشطت دعوة الإسلام، فأسلم في تلك الهدنة -التي لم تكد تصل لعامين- أكثر ممن كان أسلم من يوم دعا الرسول إلى يوم الحديبية.

* اعتراف قريش لأول مرة بالرسول على أنه ندها ونظيرها من خلال المفاوضات التي أجرتها معه.

* اعتراف قريش بأن الإسلام دين له كيانه وتأثيره؛ وذلك من خلال إقرارها للمسلمين بحق زيارة الكعبة وإقامة الشعائر.

الفصل الثامن: تطور العلاقة بين المسلمين ويهود المدينة منذ الهجرة حتى صلح الحديبية (1-6 هـ)

- عند قدوم الرسول إلى المدينة كتب صحيفة نظم فيها العلاقات بين المسلمين وغيرهم في مجتمع المدينة.

- ظهر من اليهود التنديد بالإسلام عندما حول الله القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة في السنة الثانية للهجرة.

- عندما انتصر المسلمون في بدر لم يكتم اليهود حقدهم، وخاصة يهود بني قينقاع الذين أخذوا يهددون المسلمين بالحرب.

- نبذ يهود بني قينقاع العهد الذي بينهم وبين رسول الله وتحصنوا في حصونهم واستعدوا للقتال.

- حاصر الرسول يهود بني قينقاع خمس عشرة ليلة (من منتصف شوال إلى هلال ذي القعدة من السنة الثانية للهجرة)، ثم نزلوا على حكمه، فأمر بإجلائهم من المدينة فتوجهوا إلى أذرعات بالشام، وغنم المسلمون ما كان لهم من مال وسلاح.

- تآمر يهود بني النضير على الرسول ليقتلوه في ديارهم، فأرسل إليهم الرسول ليخرجوا من المدينة بعدما هموا به من الغدر، فرفضوا الاستجابة لذلك وأبوا إلا الحرب.

- حاصرهم الرسول خمسة عشر يومًا (في ربيع الأول عام 4 هـ) حتى صالحوه على أن يجليهم ويحقن لهم دماءهم على أن لهم ما حملت الإبل من أموالهم إلا السلاح. فمنهم من سار إلى خيبر، ومنهم من سار إلى أذرعات بالشام.

- أما بنو قريظة فقد نقضوا العهد الذي كان بينهم وبين الرسول بانضمامهم إلى الأحزاب في حربهم للمسلمين بالمدينة.

- لما انصرف الأحزاب عن المدينة أذن مؤذن الرسول: "من كان سامعًا مطيعًا فلا يصلين العصر إلا ببني قريظة"! فسار المسلمون من فورهم إلى حصون بني قريظة في المدينة، وذلك يوم الأربعاء لسبع بقين من ذي القعدة في السنة الخامسة من الهجرة وحاصروهم خمسة عشر يومًا.

- رضي بنو قريظة أن ينزلوا على حكم سعد بن معاذ زعيم الأوس. وكان بنو قريظة حلفاء الأوس؛ ولهذا طمعوا في أن يرفق بهم سعد.

- نظر سعد إلى بشاعة الجرم الذي ارتكبه بنو قريظة فحكم بأن تقتل رجالهم وتقسم أموالهم وتسبى ذراريهم ونساؤهم. فقال له الرسول: أصبت حكم الله فيهم.

الفصل التاسع: من صلح الحديبية حتى عام الوفود (6-9 هـ):
اتساع نطاق الدعوة وتأكيد هيبة الدولة

1- كتب رسول الله إلى الملوك:

* أرسل الرسول كتبه إلى ملوك وأمراء العالم يدعوهم فيها إلى الإسلام بعد صلح الحديبية، وذلك عام سبعة هجريًا.

* أرسل الرسول إلى إمبراطور الروم، والمقوقس حاكم مصر، وإمبراطور فارس، والنجاشي ملك الحبشة.

2- فتح خيبر (صفر 7 هـ) وإخضاع يهود شبه الجزيرة:

* تميزت خيبر بحصونها المنيعة وما تشتمل عليه هذه الحصون من العدة والعدد.

*كانت خيبر مركزًا للتآمر اليهودي ضد المسلمين، فكان من الضروري أن يضع الرسول حدًا لهذا الخطر الذي يهدد الدولة الإسلامية.

* خرج الرسول في صفر من العام السابع هجريًا على رأس ألف وأربعمائة من أصحابه متوجهًا نحو خيبر، وكان اليهود عشرة آلاف.

* تساقطت حصون خيبر حصنًا تلو حصن، حتى استسلم أهل خيبر.

* حقن الرسول لأهل خيبر دماءهم وأقرهم على أرضهم يزرعونها على أن يكون للمسلمين نصف ما تنتجه.

3- عمرة القضاء: (ذو القعدة 7 هـ):

* لما انقضى عام من صلح الحديبية خرج الرسول معتمرًا عمرة القضاء، وخرج معه المسلمون، فأخلت قريش لهم مكة فدخلها الرسول والمسلمون فأقاموا بها ثلاثًا، وقضوا عمرتهم ثم انصرفوا راجعين إلى المدينة.

4- سرية مؤتة: (جمادى الأولى 8 هـ):

*كان من أسبابها إرسال الرسول أحد أصحابه إلى ملك بصرى -أحد ملوك الغساسنة بالشام- بكتاب يدعوه فيه إلى الإسلام، فاعترض طريقه شرحبيل بن عمرو الغساني وقتله في مؤتة. كما أرسل الرسول (في ربيع الأول سنة 8 هـ) خمسة عشر من أصحابه إلى مكان يقال له "ذات أطلاح" بالشام فوثبت عليهم "قضاعة" بجموعها فقتلتهم جميعًا إلا واحدًا نجى وبه رمق، فأخبر الرسول بما حدث.

* لذلك أعد الرسول جيشًا بلغ عدده ثلاثة آلاف مقاتل ليقوم بمهمة محددة وهي تأديب عرب الشام الذين تطاولوا على المسلمين واستباحوا دماءهم.

* استعان عرب الشام بالروم، فبلغ جيش العدو أضعاف الجيش الإسلامي.

* التقى جمع المسلمين القليل بجموع العدو الهائلة من الروم ومتنصرة العرب في قرية "مؤتة"، فاستشهد زيد بن حارثة ثم جعفر بن أبي طالب ثم عبد الله بن رواحة. فآلت الراية في النهاية إلى خالد بن الوليد الذي استطاع أن ينسحب بالجيش ويصل بهم إلى المدينة دون خسائر تذكر.

* لم يتجاوز عدد الشهداء المسلمين في تلك السرية اثني عشر.

5- فتح مكة (رمضان 8هـ):

* في أثناء هدنة الحديبية عدت بنو بكر (الداخلة في عقد قريش وعهدهم) على خزاعة (الداخلة في عقد الرسول وعهده) فأصابوا منها رجلًا واقتتل الفريقان.

* أمدت قريش حلفاءها من بني بكر بالسلاح والرجال.

* أحست قريش بخطورة ما أقدمت عليه من انتهاك لعهدها مع الرسول، فأرسلت إليه أبا سفيان بالمدينة ليؤكد معه عقد الحديبية ويزيد في مدته. ولكن باءت مهمته بالفشل لأن الرسول رفض أن يجيبه.

* خرج الرسول في العاشر من رمضان سنة 8 هـ متوجهًا نحو مكة على رأس جيش بلغ عشرة آلاف رجل.

* أثناء تقدم الرسول نحو مكة بجيشه لقيه عمه العباس بن عبد المطلب مسلمًا مهاجرًا بعياله. وحين رأى العباس هذا الجيش الهائل قرر أن يتصل بقريش ويطلب منهم أن يستسلموا لرسول الله ويطلبوا منه الأمان نجاة لأنفسهم.

* التقى العباس بأبي سفيان فطلب منه العباس أن يصحبه إلى الرسول ليطلب منه الأمان، فاستجاب أبو سفيان لاقتراح العباس وتوجه معه إلى الرسول.

* شهد أبو سفيان ألا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله. وقال الرسول: "من دخل بيت أبي سفيان فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن، ومن أغلق عليه بابه فهو آمن".

* ولما دخل أبو سفيان إلى مكة وأبلغ قريش بهذا تفرق الناس إلى دورهم وإلى المسجد، فدخل جيش المسلمين مكة دون حرب.

* طاف الرسول بالبيت، وعفى عن قريش فقال لهم: "اذهبوا فانتم الطلقاء". كما أمر بلالًا أن يصعد فيؤذن أعلى الكعبة. وأمر بالأصنام فهدمت.

* أقام الرسول بمكة بعد الفتح خمسة عشر يومًا.

6- غزوة حنين والطائف: (شوال – ذو القعدة 8هـ):

* بعد فتح مكة أدركت قبيلة هوازن أن المد الإسلامي يوشك أن يجتاحها، فرأت حتمية الدخول مع المسلمين في جولة حاسمة تقضي بها على شوكتهم. واستعانت هوزان في ذلك بقبيلة ثقيف البارعة في فنون الحرب.

* تحالفت هوازن وثقيف ونزلوا حُنَينًا، وهو واد بين مكة والطائف، و أخذوا معهم أموالهم ونساءهم ليستميتوا في القتال.

* خرج الرسول من مكة في شوال سنة 8 ه في اثني عشر ألفًا من المسلمين وقد أعجبتهم كثرتهم فقال بعضهم: "لن نغلب اليوم من قلة".

*كانت هوازن وثقيف قد كمنوا للمسلمين في شعاب ومضايق وادي حنين، فبرزوا لهم في عماية الصبح من مكامنهم. فسيطر الذعر والفوضى على صفوف المسلمين وضاقت عليهم الأرض بما رحبت، ثم ولوا مدبرين.

* استطاع الرسول بثباته كالطود أن يستجمع المسلمين من حوله، فالتف حوله عدد من الصحابة ازداد عددهم بالتدريج. وعندما رأى بقية المسلمين ثبات هؤلاء النفر حول الرسول ثابوا إليه لتكون لهم الكرة على عدوهم.

* قتل المسلمون من عدوهم وأسروا وسبوا وغنموا غنائم كثيرة، فتحصنت فلول هوازن وثقيف بالطائف وأغلقوا عليهم أبوابها.

* فحاصر الرسول الطائف ما يقرب من الشهر ثم أمر برفع الحصار في ذي القعدة سنة 8 ه.

* بعد حصار الطائف توجه الرسول إلى مكة معتمرًا، وفي طريقه إليها نزل بمكان يسمى "الجِعرانة" وقام بتقسيم الغنائم بين المسلمين فجاءه وفد هوزان يعلنون إسلامهم، فرد إليهم الرسول ابناءهم ونساءهم وقسم باقي الغنائم بين المسلمين، وقد خص طائفة ممن أسلموا حديثًا بمزيد من العطاء ليتألف قلوبهم.

* أما الأنصار فقد رضوا برسول الله قسمًا وحظًا، فدعى لهم رسول الله، وأدى عمرته وعاد معهم إلى المدينة.

* لم تجد ثقيف بدًا من الدخول في الإسلام بعدما أسلمت العرب كلها، فدخلت في دين الله في (رمضان سنة 9 هـ).

7- غزوة تبوك: (رجب 9 هـ):

* ترامت الأنباء إلى الرسول أن هرقل (إمبراطور الروم) يعد العدة لحرب المسلمين وأنه حشد حشوده من الروم والقبائل العربية الموالية له ليزحف على المدينة.

* أمر الرسول أصحابه بالتهيؤ لغزو الروم وكان ذلك في عام جدب شديد الحرارة، لذلك ذكر الرسول للمسلمين وجهته في تلك الغزوة -ولم يكن ذلك من عادته- وذلك لبعد المسافة وشدة الزمان وكثرة العدو.

* سمي هذا الجيش "جيش العسرة".

* خرج الرسول من المدينة في رجب سنة 9 هـ على رأس ثلاثين ألفًا حتى وصل إلى تبوك على مشارف الشام في شعبان من العام نفسه، وأقام في تبوك بضع عشرة ليلة. فعرف هناك أن الروم وحلفاءهم من العرب لم يخرجوا بجيوشهم لمقاتلة المسلمين كما أشيع قبل ذلك.

* غادر الرسول تبوك بعد أن صالحته بعض المستوطنات القريبة على الجزية متجهًا نحو المدينة فوصلها في رمضان من العام التاسع للهجرة.

*كانت غزوة تبوك آخر غزوات الرسول.

الفصل العاشر: دخول شبه الجزيرة العربية في الإسلام
(من عام الوفود إلى وفاة الرسول) (9-11 هـ)

قدوم وفود العرب إلى المدينة معلنة إسلامها منذ العام التاسع الهجري:

- أدركت العرب بعد استسلام قريش وبعد انتصارات المسلمين الساحقة أنه من الأجدر بهم أن ينضووا تحت لواء هذا الدين. ومن هنا بدأت القبائل المختلفة تبعث وفودها إلى الرسول معلنة إسلامها.

- شهد العام التاسع بداية هذه الوفود، فعرف هذا العام "عام الوفود".

- لم تتوقف الوفود بانتهاء العام التاسع بل ازدادت تدفقًا في العام العاشر.

حجة الوداع: (10 هـ)

- في ذي القعدة من السنة العاشرة للهجرة تجهز الرسول للحج وأمر الناس بالجهاز له. وقد عُرفت هذه الحجة بـ"حجة الوداع" لأنه ودع فيها الناس ولم يحج بعدها.

- انتهز الرسول فرصة هذا الجمع الحاشد فأبرز أهم ما في الإسلام من معانٍ وقيم كحرمة الدماء والأموال وتحريم الربا وأهمية أداء الأمانات إلى أهلها وحقوق النساء وحسن معاملتهن وقيمة الأخوة الإسلامية.

وفاة الرسول: (12 من ربيع الأول 11 هـ)

- بعد عودة الرسول إلى المدينة من حجة الوداع أخذ يعد العدة لإرسال سرية إلى بلاد الشام بهدف تأديب القبائل العربية الموالية للروم هناك، وقد اختار لقيادة هذه السرية أسامة بن زيد بن حارثة.

- تحرك أسامة فى آخر صفر سنة 11 هـ على رأس جيش مكون من ثلاثة آلاف مقاتل، وتقدم حتى وصل إلى "الجُرف" على بعد خمسة كيلومترات من المدينة، وهناك علم بمرض رسول الله فلم يبرح مكانه، فلما تطور مرضه إلى وفاته عاد أسامة إلى المدينة.

- ابتدأ برسول الله مرضه في الأيام الأخيرة من صفر سنة 11 هـ، وكان مرضه الحمى.

- انتقل الرسول إلى الرفيق الأعلى في منتصف نهار يوم الاثنين 12 من ربيع الأول سنة 11 هـ، وكان في بيت السيدة عائشة.

- لم يكن من السهل على المسلمين أن يستوعبوا خبر وفاة الرسول، وذلك لشدة ارتباطهم به وحبهم له.

- تكلم أبو بكر في المسلمين، فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه: "أيها الناس، إنه من كان يعبد محمدًا فإن محمدًا قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت".

نبذة عن أخلاق الرسول:

- تميز الرسول بـ:

الأمانة والصدق | العفو | ليونة العريكة ورحابة الصدر | الجود | التواضع ورقة المعاملة | الوفاء والعرفان بالجميل | الشجاعة

- وصدق الله العظيم إذ يقول وهو يجمل كل الجوانب الخلقية في رسوله "وإنك لعلى خلق عظيم".